وسائل التنصير المعاصرة ودور الدعاة إلى الله تعالى في مواجهتها

د. رائد بن فؤاد باجوري
عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية – جامعة أم القرى

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد أخبرنا الله جل وعلا منذ أكثر من أربعة عشر قرناً عن نوايا أعدائنا من اليهود والنصارى، فقال جل شأنه: ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى..) (البقرة - ١٢٠)، ولازلنا نشاهد في الواقع المعاصر مصداق ذلك، من هجمات شرسة على الإسلام وأهله، تهدف القضاء عليه نهائياً وإن لم يكن فصرف المسلمين عن دينهم إن استطاعوا حسداً من عند أنفسهم.

ومن الهجمات التي يواجهها العالم الإسلامي، حركات التنصير الواسعة، والتي يسعى فيها النصارى إلى نشر النصرانية بين المسلمين، وتشكيكهم في دينهم، سالكين في ذلك كل وسيلة ممكنة لتحقيق أهدافهم ومرادهم، ومن هذا وغيره جاء اختيار هذا الموضوع (وسائل التنصير المعاصرة ودور الدعاة إلى الله تعالى في مواجهتها).

أسباب اختيار الموضوع:

١. أهمية الموضوع كما سيأتي في الحديث عن أهمية البحث.

٢. عدم وجود دراسة مختصرة لموضوع وسائل التنصير المعاصرة.

٣- استجد في الوقت الحاضر وسائل جديدة من خلال وسائل الاعلام وغيرها والغزو الفضائي.

أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته كونه يسلط الضوء على خطر التنصير الذي تنوعت أساليبه وحاجتنا إلى مواجهته والحد من أخطاره.

- أهداف البحث:

١. التعريف بالتنصير، وذكر تاريخه وجذوره.

٢. توضيح أهداف التنصير، ووسائله.

٣. إبراز أهم الوسائل، والأساليب المعاصرة التي استخدمها التنصير لتحقيق أهدافه.

٤- سبل مواجهته من قبل الدعاة، وتحمل المسؤولية والأمانة.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات علمية محكمة ورسائل وبحوث عن التنصير ونشأته وأهدافه ووسائله ومنها:

١- التنصير (مفهومه – أهدافه – وسائله) للدكتور علي النملة. (رسالة علمية).
٢- التبشير وأثره – للدكتور أحمد البساطي.
٣- التنصير يغزو العالم الإسلامي – أحمد الرفاعي.

وغيرها من المؤلفات في هذا الباب والباحث لم يعدم منها فائدة وانطلق من حيث انتهت تلك الدراسات.

منهج البحث: المنهج التحليلي الوصفي.

منهج الباحث:

- عزوت الآيات وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية بجانبها في أصل البحث، وهي طريقة معروفة في مناهج البحث العلمي.

-عزوت الأحاديث النبوية إلى مصادرها.

-إذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اكتفي بهما عن غيرهما.

-عند ذكر المصدر، أو المرجع اكتفي بذكر المصدر والمؤلف والصفحة والجزء، وأرجأ الطبعة ومكانه أو تأريخه في فهرس المصادر والمراجع في نهاية البحث إلا عند اعتماد أكثر من طبعة، أوضح ذلك في الحاشية بذكر الطبعة والناشر.

-ذكرت في خاتمة البحث النتائج والتوصيات.

-وضعت فهرس للمصادر والمراجع التي رجعت إليها.

خطة البحث:

وقد جاءت خطة البحث مشتملة على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

أما المقدمة فقد اشتملت على: أهمية البحث وسبب اختياره ومنهج البحث....

التمهيد: مفهوم التنصير وتاريخه، وفيه:

أ: مفهوم التنصير.

ب: تاريخ التنصير.

المبحث الأول: وسائل التنصير، وأساليبه المعاصرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وسائل التنصير الإعلامية والتعليمية.

المطلب الثاني: وسائل التنصير الإغاثية والطبية.

المبحث الثاني: السبل المثلى في مواجهة التنصير وفيه مطلبان:

المطلب الأول / أهمية الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني / دور الدعاة إلى الله تعالى.

الخاتمة وجاءت مشتملة على أهم النتائج والتوصيات.

أسأل الله تعالى أن يكون ما بذلته مستوفيًا للمطلوب، وخادماً للموضوع.

التمهيد:

أ- مفهوم التنصير:

في اللغة: من التنصُّر، وهو الدخول في النصرانية ونصَّره تنصيرًا جعله نصرانيًّا.(١)

وفي الاصطلاح هو: "حركة دينية سياسية استعمارية، تهدف إلى نشر النصرانية بين الأمم المختلفة عامة، وبين المسلمين خاصة"

أو هو الجهد الكَنَسِي الهادف إلى إدخال الشعوب في النصرانية، وتكون هذه الدعوة بين أبناء الديانات الأخرى، وفي أوساط الوثنيين واللادينيين، وتكون مقرونة بنبذ غيرها من الديانات الأخرى، سواء أكانت سماوية أم غير سماوية، واضعة نصب عينيها هدفًا محددًا: هو "تنصير المجتمعات"، ونشر المسيحية في كل بقاع الأرض، والاستمرار في ذلك النشاط.(٢).

وقد تختلف التعاريف لمفهوم التنصير إلا أنهم يتفقون على أنه تلكم الحركة التي تهدف لتنصير (ليكونوا نصارى) المجتمعات والمسلمين منهم خاصة.

ب- نشأة التنصير:(٣)

إن من يقرأ في نشأة التنصير ويطلع في جذور هذه الحركة أو الدعوة ليتبين له أنه مر بمراحل وهي:

المرحلة الأولى: النصرانية المحرفة والتبشير بها:

يعد (بولس)المنصر الأول، وواضع أسس التنصير العالمي، الذي كان في الأصل يهوديا يحارب النصارى ويضطهدهم.

ثم ادعى النصرانية، وبدأ يدعو إلى النصرانية المحرفة، ويرسل المبشرين بها، ويسميه بعض النصارى (بولس المخَلِّص).

المرحلة الثانية: مرحلة الحروب الصليبية.

تعد الحروب الصليبية شكلاً من أشكال التنصير، اتُّبعت فيه القوة والغزو العسكري، وكان يدور خلال الحملات الصليبية الثماني نقاش وحوار بين علماء الدين الإسلامي ورجال الدين النصراني.

---

(١)- لسان العرب – ابن منظور رحمه الله – مادة (نصر)(١٤/١٦٤)

(٢)- موقع الألوكة الإلكتروني – الباحث محمد السروتي .www.alalukka.com

(٣)- استفدت ذلك من عدة مراجع ومنها: التنصير (مفهومه أهدافه وسائله) – د.علي النملة ، التنصير نشأته وتاريخه- د. محمد عمارة .

وكان لهذه الحملات تأثير في ازدياد عدد الكنائس والمنصرين.

لكنها لم تفلح عسكريًا، وعليه فلم تفلح عقائديًا في تشكيك المسلمين بدينهم، بل زادتهم تمسُّكا به.

المرحلة الثالثة: الاستشراق في خدمة التنصير.

بعد فشل الحروب الصليبية، بدأت مرحلة مهمة وخطرة للتنصير، حيث تزعم (ريموند لول) المستشرق المنصّر الإسباني مهمة العودة إلى التنصير، فتعلم اللغة العربية، وجال في البلاد الإسلامية وناقش العلماء المسلمين في بلاد كثيرة، وأثيرت من خلاله الشبهات والشكوك.

المرحلة الرابعة: الاحتلال.

تعد مرحلة الاحتلال (الاستعمار) في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين امتدادًا للحروب الصليبية، حيث يعدّ التنصير ممهدا للاحتلال أولا، ثم يعدّ الاحتلال مسهلا لحملات التنصير بعدئذ.

وفي هذه الأثناء بدأ التنصير يأخذ طابع التنظيم من خلال وجود مجموعة من المؤسسات والإرساليات التنصيرية، والمعاهد والجامعات، وإقامة المؤتمرات التبشيرية.

ويعد أخطر المؤتمرات التبشيرية في العالم الإسلامي: مؤتمر (كولورادو) عام ١٩٧٨م الذي عقد تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين) حضره (١٥٠) مشتركاً، استمر لمدة أسبوعين، وقدمت فيه بحوث حول التبليغ الشامل للإنجيل. وتقديمه للمسلمين، واستخدام الغذاء والصحة كعنصرين في تنصير المسلمين وتنشيط دور الكنائس المحلية في تنصير العالم الإسلامي.

وهو ما عبر عنه المنصر (لورانس براون) حين قال: «لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية في قطر ما إلا بعد أن يخضع ذلك القطر لحكومة غربية مسيحية».

المبحث الأول: وسائل التنصير المعاصرة وأساليبه

المطلب الأول/ وسائل التنصير الإعلامية والتعليمية

اهتم المنصرون باستخدام المطبوعات منذ زمن بعيد فقد ظهرت أول مطبعة عربية في أوروبا في مدينة (فانو) بإيطاليا وهي التي صدرت عنها بعض الكتب النصرانية عام ١٥١٤م.(٤)

وقد عمد المنصرون إلى استخدام وسائل الإعلام المطبوعة باختلاف أنواعها من كتب ونشرات وصحف ومجلات فعلى صعيد الكتب، فقد كانت لهم عناية خاصة بتوزيع الإنجيل بلغات المسلمين المختلفة لأنه أهم عمل مسيحي بالنسبة لهم.

ونظرا للدور الذي يلعبه هذا الجانب في مجال التنصير تخصصت بعض الإرساليات في مجال الطباعة والنشر.

أنواع وسائل الإعلام:(٥)

أولاً: الصحافة:

ركز المنصرون على الصحافة وقد اعترفوا بأنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية، أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي، ولقد كان اعتماد المبشرين على نشر كتبهم وصحفهم على مدينتين كبيرتين هما: القاهرة وبيروت.

وتشير إحصائيات عام ٢٠٠٤م أن عدد الكتب النصرانية التي تمت طباعتها ٥. ٥٤٣. ٠٠٠ كتاب، وعدد المجلات الدورية النصرانية بلغ ٤١. ٠٠٠ مجلة، وعدد الأناجيل الموزعة في هذا العام ٦٥. ١٦٦. ٠٠٠ إنجيلا.

ثانيا: البث الإذاعي:

لاشك أن الاهتمام بالإذاعة عن طريق (الراديو) على وجه الخصوص كان له ما يبرره لأنها الوسيلة المثلى لمخاطبة الجماهير العريضة على اختلاف مستوياتها الثقافية والتعليمية والعمرية فضلا عما تتمتع به من قدرات كبيره على الانتشار والتغطية لمساحات شاسعة من الكرة الأرضية متخطيه حواجز الرقابة والأمية، وهذا يجعلها أقوى تأثيرا من الوسائل المطبوعة، مما حدا بعشرات الهيئات والمنظمات الإذاعية المسيحية بإنشاء المحطات الإذاعية التنصيرية، مثل هيئة الإذاعة البريطانية (منتكارلو)، عبر تقديم برامج تعليم اللغة الانجليزية للناطقين بالعربية، فكانوا يتوجهون بالسؤال للمستمع عما إذا

---

(٤)- التنصير – د.علي النملة – ص٥٤ .

(٥)- المرجع السابق- ص٣٩ ، الغارة على العالم الإسلامي – شاتليه (مترجم) – ص٢١ .

كان يرغب في نسخة من كتاب يحتوي على اللغة الانجليزية والعربية ليرسل له نسخة من الإنجيل بالعربية والانجليزية.(٦)

ثالثا: البث التلفزيوني:

يعتبر التلفزيون –والقنوات الفضائية- من أخطر الوسائل الإعلامية أثرا، لأنه يجمع بين الرؤية والصوت والحركة، ومما يؤكد على أهمية هذه الوسيلة لدى المنصرين إعلان الفاتيكان عن مشروع يهدف إلى إقامة اكبر محطة تلفزيونية تنصيرية، ويعتمد المشروع في أدائه على ثلاثة أقمار صناعية كبيرة.

اعتمد المنصرون في بث دينهم عبر التلفزيون على طريقتين:

- الطريقة الأولى:

بث برامج دينية نصرانية داخل قنوات عامة، سواء كانت إخبارية أو اجتماعية.

- الطريقة الثانية:

إيجاد قنوات فضائية مستقلة لغرض التنصير ونشر الدين النصراني، وقد أنشأوا عدة قنوات فضائية ناطقة باللغة العربية، بلغت ثماني قنوات من أبرزها قناة الحياة، وقناة سات(٧).(٧)

رابعا: شبكة الانترنت:

مع ظهور شبكة الانترنت، بدأت منظمات التنصير التفكير في استغلال هذه الشبكة لتنصير العالم، فقد قاموا بإنشاء (اتحاد التنصير عبر الانترنت) والذي يعقد مؤتمرا سنويا عاما يحضره ممثلو الإرساليات التنصيرية.

وقد أثمر هذا النشاط التنصيري من خلال هذه الشبكة العنكبوتية آلاف المواقع التنصيرية التي تفوق عدد المواقع الإسلامية بعشرات المرات، فالإحصائيات تؤكد أن عدد المواقع التنصيرية تزيد على المواقع الإسلامية بمعدل ١٢٠٠ %.

وسائل التنصير التعليمية /

التعليم من أشرف الأمور التي يسعى لها عقلاء بني آدم، وهي التي تؤثر تأثيراً بالغاً في المجتمعات، ولهذا سعى المنصرون إلى أن يجعلوها سبيلا إلى كفرهم، يقول المنصر هنري: (إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط، هذه

(٦)- الاذاعات التنصيرية – كرم شلبي – ص٧١ وما بعدها.

(٧)- القنوات الفضائية – تركي الظفيري- رسالة ماجستير وقد أطال الباحث النفس في بيانها وكشفها.

الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية)(٨).

فالتعليم من أعظم وسائلهم للدعوة إلى النصرانية في عقول الأطفال والكبار، ويتم ذلك بعدة أمور:

١. إنشاء المدارس من رياض الأطفال وما فوقها من المستويات من المعاهد والجامعات ولنأخذ مثلاً في البحرين مدرسة خاصة تديرها يوفان ويساعدها خمسة وعشرون موظفاً – من بينهم منصرين- كانت التدريس في هذه المدرسة من أعلى مستويات التعليم في البحرين، وهي تبذل جهوداً لتشجيع المثل والقيم النصرانية، وكان عدد طلبات الالتحاق يفوق كثيراً قدرتها الاستيعابية، مع أنهم رفعوا رسوم الدراسة.

وقد ينشئوا المدارس ويكون التعليم فيها مجانا للفقراء في كثير من القرى والهجر(٩).

٢. تدريس اللغة الإنجليزية، واللغة حمَّالة قِيم إن لم يتنبه لها المسلم، وقد يُمزج معها الدعوة إلى الإباحية والدعوة إلى النصرانية، وراعوا في ذلك الكفاءة النوعية في المدرسين والمقررات، وتكثيف الطابع الغربي النصراني بحيث يألفه الطالب ولا يستنكره(١٠).

٣. التداخل المباشر في المدارس الحكومية واشتراكهم في وضع المناهج التربوية لبعض المراحل العليا، بل ربما أسند إليها التخطيط الشامل للتعليم العالي على المدى البعيد، ويعين على هذه الوسيلة إضعاف المؤسسات العلمية والتعليمية الدينية في البلاد العربية والإسلامية، ثم يُراد للمؤسسات التعليمية الغربية أن تحلّ محلها في مناهجها وتخطيطها وطريقتها في التربية والتعليم(١١).

٤- الابتعاث لأبناء المسلمين، ومن ثم محاولة تنصيرهم في البلاد التي يتم ابتعاثهم إليها، فإن لم يتحقق ذلك فليتحقق ما دون ذلك وهو إخراجهم من دينهم وإغراقهم بالشهوات المحرمة في تلك البلاد(١٢)، وتتعرض هذه الفئات من الطلبة إلى حملات قوية من المنصرين عن طريق مكاتبة الطلبة، ووضع برامج لهم من زيارات للعائلات وأوجه

(٨)- حقيقة التبشير - ص١٦٦

(٩)- يُنظر الحيل والأساليب- ص٧٨.

(١٠)- الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية- د. محمد الشثري- ص١٥ .

(١١)- التنصير ، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته– ص١١٢ .

(١٢)- يُنظر الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية- ص١٥.

نشاط اجتماعية من حفلات ودعوات إلى الكنيسة أو ما يلحق بالكنيسة من الأفنية والملاعب، وإبداء الرغبة في خدمتهم، والوقوف إلى جانبهم والتعاطف معهم(١٣).

٥-قصر التعليم على أبناء الأقلية النصرانية- في البلاد التي يوجد فيها مسلمون ونصارى- ليتحقق لهم التفوق في المجال العلمي والإداري في المناطق التي تعيش فيها الأقليات النصرانية بين المسلمين، وبهذا يكون التنصير من خلال التحيز ضد أبناء المسلمين.

المطلب الثاني: وسائل التنصير الإغاثية والطبية.

الإغـاثـــة:

بعثات الإغاثة، حيث يهُبُّ الجميع رجالاً ونساءً، صغارًا وكبارًا يجلبون معهم المؤن والملابس والخيام وغيرها، ويقدمونها على أنها نعمة من عيسى بن مريم -عليهما السلام- سواء أكان هذا الإيحاء واضحًا بالرموز والشعارات، أم بطريق خفي يصلون إليه بحذر خوف الابتعاد عنهم، أو التحريض عليهم من قبل المتنبهين.

ويحرص المنصرون على "دراسة أقوال المسلمين وعاداتهم، ثم التردد إليهم كي يأنسوا إليهم، فلا يستغرب أن يستغل هؤلاء تدهور الحالة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين، وسقوط أغلبهم ضحية الفقر المدقع، والخصاصة والمجاعة، والأوبئة، ليتصلوا بهم مقدمين لهم المساعدات، خاصة للنساء والأطفال".(١٤)

ومعلوم الآن أنَّ ميزانيات المنصرين في هذا المجال تخطَّت المئة وثمانين مليار دولار سنويًا [٠٠٠. ٠٠٠. ٠٠٠. ١٨٠]، ولو حصرت ميزانيات الهيئات الإغاثية الإسلامية العاملة في الساحة لما وصلت - على حدِّ علمي- إلى مليار دولار [٠٠٠. ٠٠٠. ٠٠٠. ١] سنويًا.

أما عدد الجمعيات التنصيرية العاملة في الإغاثة بالمقارنة بالجمعيات الإسلامية العاملة في المجال نفسه فإنها تفوق كثيرًا، وبأعداد غير قابلة للمقارنة.

ولو ضربنا مثالاً على ذلك في أرض الأفغان اليوم التي عانت من الحروب لأكثر من خمسٍ وعشرين سنة لوجدنا أنّ عدد الجمعيات الإسلامية العاملة في الإغاثة لا يزيد عن سبع جمعيات، في مقابل مئتين وخمسين جمعية إغاثة تنصيرية من مجموع ست مئة جمعية إغاثية.

(١٣)- التنصير ، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته– ص١٢٣
(١٤)- التنصير – د.علي النملة – ص٩٢

وسائل التنصير الطبية.(١٥)

إن هذه الوسيلة تحظى دوماً بالأولوية في مهمات المنصرين، وذلك لأسباب عدة منها:

١ـ إشباع حاجة الأهالي الملحة إلى العلاج الطبي.

٢ـ العلاج الطبي هو أكثر الوسائل قرباً إلى النفوس، ويقف حائلاً أمام ردود الفعل السلبية، فكان أفضل طريق لخلق جو اجتماعي ودي مع الناس.

يقول أحد قادة الإرسالية، هـ. ستورم: "لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ووسيلة لتوثيق عرى الصداقة، وأداة لتحطيم المعارضة".

وتقول المنصرة إيد هاريس: "يجب على الطبيب أن ينتهز الفرصة ليصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم".

٣ـ تقديم مثل هذه الخدمة يعتبر جزء من الخلق المسيحي الذي يدعو لمساعدة الناس وشفائهم.

يقول د. بنينجز عن السبب الذي يدعو الإرسالية لاختيار هذه الوسيلة طريقاً للتنصير: "من السهل معرفة السبب بأن المسيح كان معلماً ومداوياً، وفي الواقع كان طبيباً، إن ما نفعله هو تأثر خطاه".

الإرساليات والبعثات الطبية:

لم تظهر أهمية هذه الوسيلة من وسائل التنصير إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، عندما تكونت الجمعيات الطبية في أوروبا وأمريكا التي تقوم بتأهيل الأطباء والممرضين في مراكز التبشير.

ومن ثم أصبحت هذه الإرساليات من وسائل التنصير المهمة، وتعمل على خدمة النصرانية والتنصير من خلال إنشاء المستشفيات والعيادات المتنقلة.

منظمات التنصير الطبية:

تستغل المنظمات التنصيرية ضعف الخدمات الطبية والعلاجية في كثير من دول المسلمين؛ ومن هذه المنظمات:

ـ منظمة أوكسفام: تعمل على رعاية المعوقين حركياً.

ـ منظمة اتفاق الكنائس والبعثات التنصيرية في تشاد.

(١٥)- ينظر التنصير – للنملة ، وسائل التنصير في أوغندا – د. عبدالله الرميان .

ـ منظمة رسالات المحبة وشعبة الإحسان: لها نشاط كبير في اليمن.

إضافة إلى العديد من البعثات والمنظمات الكنسية.

منظمات دولية إنسانية استغلت في التنصير:(١٦)

١) منظمة أطباء بلا حدود:

أسسها برنار كوشنير في عام ١٩٧١، وتعتبر حاليا واحدة من أكبر المنظمات الإنسانية التي تقدم المساعدات الطبية الطارئة في شتى الميادين، الطبية منها والاجتماعية والإنسانية.

تتكون منظمة أطباء بلا حدود من خمس مراكز تنفيذية (مكتب فرنسا، بلجيكا، سويسرا، أسبانيا وهولندا) و١٤ مكتبا في مختلف أنحاء العالم يعملون على جمع التبرعات المالية الضرورية لتسيير البرامج والقيام بعمليات توعية حول عدة قضايا ومشاكل طبية أو إنسانية.

٢) الصليب الأحمر السويسري الذي يعمل في مجال دعم مجال الصحة وبناء مراكز للصحة وترميمها، في مختلف مدن العالم.

وهناك بعض الوسائل الأخرى أذكر منها:

-الاستشــراق:

استغلال المؤسسات العلمية التي تقدم دراسات عن العالم الإسلامي والعرب والشرق الأوسط. وهذه الظاهرة نشأت على أيدي كهنة وخدم للكنيسة، وأخذت مصطلح الاستشراق الذي يتولّى الجانب العلمي في نزع سلطان الدين الإسلامي من النفوس. وطلائع المستشرقين انطلقوا من الكنائس والأديرة. وإسهاماتهم موجهة إلى المفكرين والمطلعين والمثقفين. وهم لا يدعون صراحة إلى النصرانية، بل إنهم يتهربون من إلصاق النصرانية بهم، ولكنهم يحققون أهداف المنصرين في حملاتهم ضد الإسلام التي كانت أكثر صراحة مما هي عليه الآن، وكذلك في منهجهم المتأخر القائم على التخصص، ونبذ الأحكام العامة والسريعة، التي بدأها أسلافهم، التي كانوا فيها صريحين في محاربة الإسلام ونبي الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام(١٧

ـ الترجمـــة:

وتعد الترجمة من الوسائل المهمة لتحقيق أهداف التنصير والمنصرين، إذ انطلقت

(١٦)- كثيرا مايذكرون عنها ذلك ممن كتب عن التنصير.

(١٧)- التنصير – د علي النملة – ص٩٥

ترجمة معاني القرآن الكريم في القرن السادس الهجري، منتصف القرن الثاني عشر الميلادي (١١٤٣م) لأغراض تنصيرية، ورعتها الكنيسة والأديرة على يد الراهب الكلوني "آبت" رئيس الأديرة الذي بدأ الفكرة سنة ١١٤١م، حيث رحل من فرنسا إلى إسبانيا، وكلف "كتنفريز" في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية إلا أنَّ الترجمة ظلّت حبيسة الدير بجنوب فرنسا حتى سنة ١٥٤٣م[(١٨)]

ثم انطلقت الترجمات للتراث العربي الإسلامي لخدمة هذه الأغراض التنصيرية، حتى مر الزمان. وتلاشى الدافع التنصيري تدريجيًا من المنطلقات الاستشراقية.

وفي المقابل تكشفت ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية "من خلال الإرساليات في القرن الثامن عشر، وتؤكد" آمال قرامي "في معرض استعراضها لأسباب تنصُّر المسلم على جانب ترجمة الإنجيل، حيث تقول: " لقد حرضت الإرساليات التبشيرية على ترجمة "الأناجيل" إلى عدة لغات، حتى لا ينفر المسلم من قراءتها. ففي المغرب استطاعت "جماعة الأناجيل البريطانية" أن توزع نسخًا كثيرة من الأناجيل المترجمة إلى اللغة العربية والبربرية، وعرف التبشير البروتستاني بفضل هذه الجماعة دفعًا في المنطقة بين سنتي ١٨٨٣هـ-١٨٨٩م ".[(١٩)]

- التنميـــة:

ومن الوسائل الحديثة إسهام الجمعيات التنصيرية في مجالات التنمية تحت شعار" من الكنيسة إلى المجتمعات ". وقد أنشئت لهذا الصدد لجان مثل هيئة مجلس الكنائس للإسهام في أعمال التنمية، " وتعمل هذه الهيئة في حقول التنمية المتنوعة المختلفة، مثل إقامة القرى الزراعية، وعقد الدورات التدريبية المهنية لمختلف التخصصات التقنية والفنية، وتقديم القروض المباشرة إلى الفلاحين عن طريق مؤسسات (وحدات الإقراض) ومشروعات التهجير الداخلي للسكان وغير ذلك ".[(٢٠)]

وتسهم هذه الهيئات إسهامًا مباشرًا في هذه المجالات، ومن خلال هذا الإسهام تسعى الجمعيات إلى تحقيق بعض الأهداف. ولو لم يكن إلا الإسهام هدفًا لكان كافيًا في إشعار المجتمعات أن المنصرين إنما يسعون إلى رخاء المجتمعات، وإخراجها من أسْر التخلف والجهل وقلة الإمكانات. هذا عدا عما يصحب مدة الإسهام من اتخاذ وسائل أخرى تكون مقاومتها غير ميسورة، إذا ما أُشعر الأهالي أو الحكومات أن التصدي لها فيه مدعاة إلى التخلي عن الإسهام في مجالات التنمية بمشروعاتها المختلفة. وقد تعرَّضت السودان

(١٨)- المرجع السابق .
(١٩)- قضية الردة في الفكر الإسلامي- ص٤١ .
(٢٠)- التنصير – د النملة – ص ١٠٠

وأفغانستان وإندونيسيا إلى ضغوط رسمية دولية عندما سعت إلى إخراج بعض المؤسسات التنصيرية من السودان. وكانت الضغوط صريحة بقطع الإعانات والقروض إذا ما تمَّ الإبعاد.

المبحث الثاني/ السبل المثلى في مواجهة التنصير

المطلب الأول / أهمية الدعوة إلى الله تعالى.

من خلال ما ذكرنا في البحث من خبث ومكر المنصرين فإنه حري بالمسلم الغيور على دينه أن يقاوم هذا المكر ويواجهه ولا يخضع له، وخصوصا من قبل الدعاة إلى الله تعالى الذين هم ورثة الأنبياء، ولعلي أختم هذا البحث ببعض سبل المواجهة بعد الاستعانة بالله تعالى على دحر الأعداء ومن أهمها:

الدعوة إلى الله:

فالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، فالمواجهة العملية أن نقدم للآخرين من مسلمين وغير مسلمين البديل الذي نعتقد أنه الحق، وهو الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم وجاءت به سنة المصطفى محمد - ﷺ-.

وأساليب الدعوة متعددة ومتنوعة، وبعضها يناسب مجتمعات ولا يناسب أخرى. فالدعوة المباشرة أسلوب، والدعوة بالإغاثة أسلوب، والدورات أسلوب، والمنح الدراسية أسلوب، وكل ما يحقق الهدف ولا يتعارض مع الشرع أسلوب تفرضه أحيانًا الحال أو الزمان أو المكان. والدعوة إلى الله تعالى تتطلب العلم الشرعي أولاً ثم الفقه فيه. وهما يعدان من أوليات مؤهلات الداعية إلى الله تعالى، وقبل ذلك وبعده الدعوة بالقدوة، فكم دخل الإسلام مهتدون بسبب ما وجدوه من القدوة في التعامل والمعاملة والسلوك. "(٢١) "

وقد ظهرت على الساحة الإسلامية مجموعة من الهيئات الإغاثية الإسلامية وجمعياتها ولجانها. وهي مع تواضع تجربتها وافتقارها إلى الخبرة والعراقة، إلا أنها، مع قلة إمكاناتها، قد اقتحمت الساحة بفاعلية، وهي تؤلف تهديدًا عمليًا واضحًا للجمعيات التنصيرية. والمطلوب في هذه الوسيلة تكثيف أعمالها وتعددها النوعي وليس بالضرورة الكمي. وأظن هذا التعدد ظاهرة صحية، إذا ما روعيت فيها الدقة والأمانة والإخلاص في العمل والصواب فيه، والبعد عن القضايا الجانبية التي تضر بالعمل ولا تعين عليه. كما أن التنسيق مطلب جوهري وملح بين الهيئات، فالغرض هو الوصول إلى المنكوبين، والهدف الأسمى من هذا كله هو تحقيق حمل الأمانة التي أراد الله تعالى لهذا الإنسان أن يحملها.

(٢١)- التنصير – د.على النملة – ص١٦٠

وهناك مؤسسات علمية ومؤسسات تعليمية كالجامعات والمعاهد ومراكز البحوث. وهذه منتشرة في أنحاء العالم الإسلامي، ويتوقع لها أن تسهم في مجال التركيز على الحملات التنصيرية، وعن طريق عقد الندوات والدعوة إلى المحاضرات والمؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية لوضع الخطط والاستراتيجيات لمواجهة التنصير، وعن طريق إصدار دورية علمية، وأخرى ثقافية تعنيان بالتنصير وتتابعان تحركاته، حيث تخلو الساحة من هذه الإصدارات المتخصصة.

والمؤسسات العلمية والتعليمية من مراكز وجمعيات وجامعات في العالم الإسلامي تملك القدرات العلمية والبشرية لترجمة الكتب النافعة والرسائل الموجزة، ونشرها بين الأقليات المسلمة وبين المسلمين عمومًا ممن لا يتحدثون اللغة العربية، كما تملك القدرة على تكليف من يجيدون اللغات بالترجمة والتحفيز عليها، كأن تكون حافزًا للترقية في الجامعات مثلاً. كما يطلب من هذه المؤسسات القيام بترجمة بعض ما ينشر من مؤتمرات المنصرين ووقائع لقاءاتهم وجهودهم في حملاتهم، وذلك رغبة في إطلاع الأمة على ما يراد بها.

ورابطة العالم الإسلامي تقوم بجهود مشكورة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى. ويتطلع إليها المسلمون في بذل المزيد في مواجهة التنصير، بما تملك من قدرة على التأثير، وقدرة على الوصول إلى من يمكن فيهم التأثير، وإن لم تكن قادرة قدرة مباشرة على التصدي لهذه الحملات التنصيرية في المجتمع المسلم، ولكنها تسهم على أي حال في هذا المجال، لاسيما أن أهدافها تنص على دحض الشبهات، والتصدي للأفكار والتيارات الهدامة التي يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم، وتشتيت شملهم وتمزيق وحدتهم، والدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم، ويحل مشكلاتهم. وينتظر منها المزيد في اتخاذ الوسائل التي أعلن عنها، وذلك، مثلاً، بإقامة لجنة تحت مظلة الرابطة، تعنى بظاهرة التنصير وتعمل على متابعتها ورصدها. "

المطلب الثاني/ دور الدعاة إلى الله تعالى في مواجهة التنصير

العلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله تعالى يناط بهم عمل عظيم في هذا المجال. فهم الذين يديرون الدفة العلمية والفكرية، وهم الذين يملكون القدرة بعلمهم وحكمتهم على ميزان الأشياء، ويملكون كذلك القدرة على التأثير. والمطلوب من العلماء وطلبة العلم الولوج إلى المجتمعات المسلمة بعلمهم مباشرة عن طريق الزيارات المستمرة وأوجه النشاط العلمي والثقافي الجماعي والفردي، وعن طريق المحاضرات والمؤلفات والرسائل القصيرة والنشرات الموجزة الموجهة قصدًا إلى العامة، والبرامج الإعلامية الدعوية، والبث الفضائي.

وهم مطالبون بالداخل بالاستمرار في تنبيه الناس لأخطار التنصير، ودعوة العامة والخاصة من المسلمين للإسهام في مواجهة الحملات التنصيرية بحسب القدرة المادية والبشرية، وبحسب الخبرة وغيرها من الإمكانات.(٢٢)

وإنه لمن المفرح حقًا أن التصدي للتنصير بدأ يأخذ بعدًا وشكلاً عموميًا بين الناس، بعد أن كان محصورًا على قلة منهم، وبين أوساط المتعلمين والمفكرين والمثقفين فقط. بل لقد قيل في زمن مضى إنه من العيب على العلماء وطلبة العلم التصدي للحملات التنصيرية والإرساليات في حقبة من الكفاح القومي، فلا يجب أن تذكر كلمة إسلام أو نصرانية أو مسيحية أو مسلم أو نصراني أو مسيحي، ليصبح الجميع إخوانًا في القومية، ويصبح الدين لله والوطن للجميع. وكان هذا المطلب من جانب واحد، إذ إن الإرساليات كانت تترى على المجتمع المسلم، ومنه المجتمع العربي، بشتى أشكالها وأساليبها. ومع هذا يطلب من الدعوة إلى الإسلام أن تتوقف من منطلق قومي جيء به ليحل محل الإسلام، لا ليحل محل الأديان جميعها، ذلك أن القومية إنما انطلقت على أيدي نصارى العرب. وتلك كانت حالة مرت بها الأمة في زمن مضى. وقد آذن نجمها بالأفول، حيث لم توفق في أن تكون هي البديل للإسلام. ونرى بوادر التخلص منها قد ظهرت منذ زمن على أيدي العلماء الذين نظروا للعربية والعروبة على أنها مساندة للدين، لا منافسة لـه، وأنهما يمكن أن يجتمعا.

والمطلوب المزيد من هذا التصدي والمزيد من فضح الأساليب وتقديم الأدلة القوية والبراهين الواضحة على هذه الحملات التنصيرية رغبة في الإقناع، مع التثبُّت الدائم من المعلومات الواردة لتقوى الحجة ويقوى قبولها.

ولا بد من قيام جهة علمية برسم طريقة للحوار مع النصارى في مجالات العقيدة. ومع أن هذا الموضوع غير مرغوب فيه لدى بعض المهتمين، إلا أنه عند الاستعداد لـه

(٢٢)- المرجع السابق .

بالعلم الشرعي وبالعلم بالملل والنحل، والنصرانية بخاصة، قد يدخل في دعوة القرآن الكريم إلى أهل الكتاب إلى كلمة سواء بيننا وبينهم ألا نعبد إلا الله تعالى ولا نشرك به شيئًا. قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}. (سورة آل عمران – ٦٤)

فالحوار أسلوب مهم جدًا من أساليب المواجهة، لاسيما مع توافر اليقين بأن البديل الإسلامي هو الذي مع الحق، وأن معظم الناس ينشدون الحق، وواجب الدعاة إلى الله تعالى عظيم في تعلم الرد والمحاورة مع النصارى للوصول إلى الحق وهو الإسلام والحق أحق أن يتبع.

وإيجاد قنوات فضائية وإذاعية تهدف إلى إيضاح صورة الإسلام النيرة لجميع المجتمعات، وبكل لغة حية ممكنة، وظهور الدعاة إلى الله تعالى عليها لبيان الدين ومحاسنه، وإقناع الناس بالدخول فيه، من خلال طرح علمي متقن مقنع. "(٢٣) "

وكذلك إيجاد مواقع على الشبكة العنكبوتية ومنتديات خاصة بدراسة موضوع التنصير ومتابعته وإعداد الدراسات والتقارير بشأنه، واستقطاب الدعاة إلى الله تعالى المتمكنين من الرد والمناظرة، والإقناع.

وإعداد مطويات مختصرة بلغات شتى عن التنصير وخطره، وعن وسائله وأساليبه الجديدة، كلما جد جديد، أو تطورت وسيلة، أو خفي أسلوب.

(٢٣) - مثل مناظرات الشيخ ديدات رحمه الله تعالى ،والشيخ يوسف وغيرهم .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فقد يسر الله تعالى أن أصل إلى خاتمة هذا البحث فأرجو أن أكون بهذا العمل قد أسهمت بجهد المقل في مواجهة التنصير من خلال التعريف به، والتعرف على وسائله، ودور الدعاة إلى الله تعالى في مواجهته ودحره، فإن أكن قد وفقت في هذا فبفضل من الله تعالى علي ومنَّة، وإن أكن قصرت فمن نفسي، وقد توصلت إلى نتائج وتوصيات في ختامه:

فأما النتائج:

١- التنصير معناه" حركة دينية سياسية استعمارية، تهدف إلى نشر النصرانية بين الأمم المختلفة عامة، وبين المسلمين خاصة "".

٢- للتنصير أهداف عدة على رأسها تنصير المجتمعات وخصوصا المسلمون.

٣- استخدم المنصرون عدة وسائل في دعوتهم منها الإعلام والإغاثة وغيرهما.

٤- أهمية دور الدعاة إلى الله تعالى في نشر الدعوة الإسلامية، والتصدي للتنصير بشتى الوسائل.

وأما التوصيات:

١- توجيه البحوث والدراسات في الجامعات والمعاهد العليا، نحو الإنتاج الاستشراقي والتنصيري بهدف الدراسة والنقد.

٢- إعداد الدعاة المؤهلين للقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

٣- زيادة أعمال الإغاثة في المجتمعات المسلمة الفقيرة وتقديم البديل الصالح في المجالات الطبية والإغاثية والتعليمية وغيرها.

٤- تفعيل الدور الرسمي في التصدي للتنصير وذلك عن طريق الرقابة على المناهج الدراسية ووسائل الإعلام المختلفة.

فهرس المراجع:

القرآن الكريم.

١- **أ. ل. شاتليه.** الغارة على العالم الإسلامي. **- لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي. - بيروت: مكتبة أسامة بن زيد، د. ت.**

٢- **آمال قرامي.** قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث. **- تونس: دار الجنوب للنشر، ١٩٩٦م.**

٣- تركي الظفيري – القنوات الفضائية – رسالة ماجستير – جامعة الملك سعود – الرياض.

٤- جمال الدين ابن منظور – لسان العرب – دار صادر – بيروت –ط ٢.

٥- عبدالله الرميان- وسائل التنصير في أوغندا- بحث محكم – مجلة الجامعة العربية والشرعية – ط٣٠ – القاهرة.

٦- علي بن إبراهيم الحمد النملة - التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته ط ٢. - الرياض، ١٤٢٤هـ.

٧- **كرم شلبي.** الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب. **- القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.**

٨- **محمد الطالبي.** أمة الوسط: الإسلام وتحديات المعاصرة. **- تونس: سراس للنشر، ١٩٩٦م.**

٩- **محمد بن ناصر الشثري**-الهجمة التنصيرية على الإسلام – كتاب بي دي إف.

١٠- موقع الألوكة الإلكتروني – الباحث محمد السروتي. www. alalukka. Com.